الجانب النظري

قصة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [المائدة] .

للبحث قصة نلمسها في قصة القتل الأولى بين قابيل وأخيه هابيل : حيث كانا ابني آدم هذين في موقف لا يثور فيه خاطر الاعتداء في نفس طيبة فهما في موقف طاعة بين يدي الله ، موقف تقديم قربان يتقربان به إلى الله ، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، والفعل مبني للمجهول ليشير بناؤه هكذا إلى أن أمر القبول وعدمه موكول إلى قوة غيبية ، والذي قُبل قربانه لا جريرة له توجب الحفيظة عليه وتبييت قتله ، فالأمر لم يكن له يد فيه ، ﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ هذا التأكيد المنبئ عن الإصرار نابيا مثيرًا للاستنكار لأنه ينبعث من غير موجب اللهم إلا ذلك الشعور الخبيث المنكر شعور الحسد الأعمى الذي لا يعمر نفسا طيبة ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ وهكذا في براءة ترد الأمر إلى وضعه وأصله ، وفي إيمان يدرك أسباب القبول وفي توجيه رقيق للمعتدي أن يتقي الله ، وهداية له إلى الطريق الذي يؤدي إلى القبول ، وتعريض لطيف به لا يصرح بما يخدشه أو يستثيره ، وتمضي القصة بين

الخير والشر إلى أن ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ بعد هذا كله بعد التذكير والعظة والمسالمة والتحذير ، بعد هذا كله اندفعت النفس الشريرة ، فوقعت الجريمة ، وقعت وقد ذللت له نفسه كل عقبة ، وطوعت له كل مانع ، طوعت له قتل أخيه ، فأصبح من الخاسرين : خسر نفسه فأوردها موارد الهلاك ، وخسر أخاه ففقد الناصر والرفيق ، وخسر دنياه فما تهنأ للقاتل حياة وخسر أخرته فباء بإثمه الأول وإثمه الأخير ومثلت له سوأة الجريمة في صورتها الحسية ، صورة الجثة التي فارقتها الحياة وباتت لحمًا يسري فيه العفن فهو سوأة لا تطيقها النفوس ، وشاءت حكمة الله أن تُقفه أمام عجزه – وهو الباطش القاتل الفاتك – عن أن يواري سوأة أخيه ، عجزه عن أن يكون كالغراب في أُمة الطير : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

وتقول بعض الروايات : إن الغراب قتل غرابًا آخر ، أو وجد جثة غراب أو جاء ومعه غراب فجعل يحفر في الأرض ثم واراه وأهال عليه التراب .... فقال القاتل قولته . وفعل مثلما رأى الغراب يفعل ... وظاهر أن القاتل لم يكن قد رأى من قبل ميتا يدفن - وإلا لفعل - وقد يكون ذلك لأن هذا كان أول ميت في الأرض من أبناء آدم أو لأن هذا القاتل كان حدثا ولم ير من يدفن ميتًا .. والاحتمالان قائمان [(١)] . في هذه القصة يمكن الوقوف على عدة لقطات :

الأولى: التعليم: حيث يُعلم الغراب الإنسان ، يقول ابن عادل [ت بعد ٨٨٠هـ] [« يبحث » أي ينبش ويثير التراب للإراءة : والمعنى : ليريه الله أو ليريه الغراب[(٢)]] .

---

(١) ملخصة من : في ظلال القرآن / سيد قطب / ٢/ ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧/ ط١٣ / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م / دار الشروق .

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٧/ ٢٩٣ / تح . عادل أحمد عبد الموجود وآخرين / ط١ / ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م / دار الكتب العلمية .

الثانية : التعلم : لم يخجل الإنسان من الإفادة من الغير ، كما أفاد قابيل من الغراب : [فقال القاتل قولته ، وفعل مثلما رأى الغراب يفعل] .

الثالثة : أركان البحث :

الأول : باحث : وهو الغراب في القصة .

الثاني : بحث : الحفر والتنقير [« يبحث » : أي يفتش في التراب بمنقاره ويثيره] [(١)] .

الثالث : ميادين ومجالات البحث : « في الأرض » .

الرابعة : الهدف : « ليريه كيف يواري سوأة أخيه » .

ولنذهب في رحلة مع البحث وأركانه .

*****

(١) اللباب ٧/ ٢٩٣ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٢٢٣٩/ ط ١/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م / دار الغد العربي ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٢/ ١٨١/ تح عبد السلام هارون/ ط١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م . والفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي المشهور بالجمل ٢/ ٢٢٦/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م / دار الفكر .

الركن الأول : الباحث

جاء في المعجم الكبير : [بَحَثَ فِي الأَرْضِ بَحْثًا حَفَرها وطَلَب الشَّيْء فِيها فهو باحِث وبَحَاثٌ وبَحَاثَةٌ] (١) . وجاء في المعجم الوسيط : [بَحَثَ الأَمْر : وفيه اجتهد فيه وتعرَّفَ حقيقته ، وعنه سأل واستقصى فهو باحث وَبَحَّاث وبَحَّاثة] (٢) .

ـ عمدة البحث وعموده الباحث لأنه لا يوجد بحث دون باحث ، ولا علم بغير عالم ، ولذلك اهتم العلماء به فأسسوا له القواعد ووضعوا له الخطوط ، ووصفوا له الشروط ، آخذين بيديه إلى مراقي الفلاح بعد الجد والكفاح ، فقالوا : لابد أن يكون :

١ – **قارئًا** : فللقراءة ـ بالنسبة للباحث ـ دور كبير في تحريك عقله ومعايشة عالمه ، وهناك ثلاثة أسئلة ـ إذا ذكرت القراءة ـ لابد منها: لماذا ؟ وماذا ؟ وكيف ؟

س١ : لماذا يقرأ ؟

يجيب العلماء (٣) فيقولون : [ففي نظري أننا نقرأ لغرض من غرضين أو هما معا ، فأحد الغرضين : أن نتعرض على العالم أو شيئا منه ، فمن قبلنا ومن عاصرنا جربوا الحياة واطلعوا على أراء من قبلهم وبحثوا وفكروا وأودعوا كل ذلك كتبهم ، وأوضحوا ما وصلوا إليه من حقائق – أو ما ظنوه حقائق – في كتاباتهم ، وكل باحث وكل مفكر وكل فيلسوف نظر إلى العالم من زاويته ، واختص بناحية من نواحي التجارب تعمق فيها ووصل منها إلى نتائج سجلها في كتب ألفها . فنحن إذا

---

(١) المعجم الكبير ٢/ ٨٦ ، مجمع اللغة العربية / ط١/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م / الهيئة المصرية للكتاب .

(٢) المعجم الوسيط ١/ ٤١ / مجمع اللغة العربية / ط٣ /

(٣) دراسات في البحث د. محمد رجب البيومي و د. إبراهيم عوضين ١/ أوفست .

قرأنا هذه الكتب وفرت علينا تجارب جديدة ، وأزمانا طويلة قطعها المجربون قبلنا وقربوها إلى أذهاننا ، فنستطيع إذا نحن قرأناها أن نصل في زمن قريب إلى ما وصلوا إليه في عهد طويل ثم نبني على ما قالوا ونكتشف ما جهلوا والإنسان بطبيعته ميال إلى معرفة الكون الذي حوله والوصول إلى كنهه ثم استخدام هذه المعرفة في شؤونه وتوفير أسباب سعادته ، ولكن هذا الكون متعدد النواحي كثير المظاهر ، لا يستطيع الفرد في عمره القصير أن يحيط بكل مظاهره وإدراك نواحيه ، فاقتصرت كل جماعة على ناحية منه ، وعلى مجموعة من ظواهره فبحثتها ودرستها وألفت فيها ، وجاء الآخرون يقرؤون للأولين كل حسب استعداده وميوله وما تخصص فيه ، فكانت القراءة وهي قراءة للدرس والتحصيل والبحث عن الصواب والخطأ والحق والباطل حتى يصلح الأواخر ما أخطأ فيه الأوائل ، ويبنى الخلف على ما أسس السلف .

ونوع آخر من القراءة : وهو القراءة للمتعة وتغذية العواطف ، على حين النوع الأول يغذي العقل ، كأن يقرأ الإنسان ديوان شعر جميل فيستمتع به وتتفتح نفسه له ؛ لأنه يرى أن الشاعر استطاع أن يعبر عن عواطفه أحسن مما يعبر ، وصور نفسه أحسن مما يصور ، وقدر على التعبير الجميل عن مشاعره حيث عجز هو عن التعبير عنها ، فهو يقرأ ويلتذ القراءة كما يلتذ الظمآن الماء البارد الزلال ، وكذلك الشأن في قراءة القصة الجميلة والرواية الجيدة وأنواع الأدب المختلفة .

* وقد يجتمع الغرضان معًا ، فمن أمعن في القراءة للدرس وجد لذته في ذلك ، وكلما عمق البحث واستغرق فكر القارئ ووافق عقله ونفسه واستعداده ، كان القارئ أشد بدرسه شغفا ، وأكثر هيامًا وأوفر متعة .

ـ إن القراءة بمفهومها الواسع أو الشامل عامة وقراءة الكتب على نحو خاص تعد وسيلة من الوسائل التي لابد منها ومن وجودها لإمداد الفكر الإنساني بأسس

الإبداع وإذا كان الفكر الخلاق يحيا حياته العقلية الحاضرة ويستمد من تجاربها وحوادثها وأهلها بعض مقومات إبداعاته ، فإنه بالقراءة يعيش حياة الماضي والحاضر معا ، يعيش عصورًا وأزمانا بعيدة ممتدة يشارك أهلها معارفهم وخبراتهم وتجاربهم ويستوحي منها ومما أبدعته عقولهم إبداعاته الجديدة إذ أن : صور ذكاء البشر ومعارفهم ـ كما يقول فرانسيس بيكون ـ تبقى في الكتب بمنجاة من عنكبوت الزمن وهي قادرة على التجدد الدائم [١].

س٢ – ماذا يقرأ ؟

ج : فليقرأ كل ما يتفق ودراسته ، ويتفق ونفسه ويتفق وعواطفه ، لكن يجب أن يسمو عقله فيدرس النافع المفيد لا السخيف الضار ، فكل فروع العلم الصحيح صالح للدرس والقراءة والاستزادة منه ما خلا كتب التنجيم والخرافات والأوهام والسحر فمن يعكف عليها عمره ضائع .

– ويوجه د/ رجب البيومي ـ نصيحة قائلًا : [وكل ما نقوله في هذا الشأن أن يدرس القارئ ميله واستعداده وملكاته وكفايته ثم يتجه الجهة التي يحسنها وينصرف عما ليس أهلا له، حتى تكون قراءته ودرسه أكثر فائدة وأتم نفعًا " [٢].

وكذلك القراءة للمتعة لابد أن يجتهد القارئ أن يتسامى وأن يرتفع بالقراءة لا أن ينحط ، وأن يتخير غذاءه الروحي كما يتغير غذاءه المادي .

والقراءة في الحقيقة ظل للنفس والروح ، فإذا انحطت النفس مالت إلى قراءة ما يثير الشهوات ويهيج الغرائز ، وإذا سمت طلبت الفن الرفيع الذي يرقى بالروح ويحلق في السماء .

---

(١) الحصيلة اللغوية ــ أهميتها ــ مصادرها ــ وسائل تنميتها ١٢١ / د. أحمد محمد المعتوق / ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م / عالم المعرفة .

(٢) دراسات في البحث صـ ٣ .

س٣ : كيف يقرأ ؟

يجيب د/ أحمد شلبي قائلًا : [يظن البعض أن القراءة سهلة ما دامت المراجع قد أعدَّدت والخطة قد وضعت ، ولكن القراءة في الحقيقة عمل غير يسير إذا أريد بها أن تكون نافعة منظمة ، ويقول cole : إن مما لاشك فيه أن المقدرة على القراءة وعلى هضم الأفكار المكتوبة والانتفاع بها فن لا يعرفه إلا القليلون ، ومن المجهود الضائع أن يبذل الطالب وقته وحماسته في قراءة غير نقدية وغير مركزة] (١) .

ـ ففن القراءة لا يحسنه إلا القليل ، فهناك من يقرأ صفحة قراءة فنية فتدر عليه من الفائدة والخير ما لا تدره قراءة ألف صفحة قراءة غير فنية ، فالقراءة لا توزن بكثرتها ولكن توزن بدقتها وقيمتها (٢) .

* **أهم شروط القراءة الصحيحة :** (٣) .

١ـ أن تكون قراءة في دقة وإمعان يستطعم فيها القارئ الجملة من الفصل أو الفصل من الكتاب .

٢ـ أن يحدد القارئ : ماذا يريد ا لكاتب ؟ وهل أخطأ أم أصاب ؟ وفيما أخطأ ؟ وفيم أصاب ؟ وإذا أخطأ فما صواب خطئه ؟

٣ـ أن يهب القارئ عقله كله ونفسه كلها لما يقرأ فلا يشغله شاغل آخر ولا تقطع تيار فكره العوارض ، فقديما قالوا : « إن العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ويجملها أستاذنا د/ الموافي قائلاً: [والقراءة في البحوث العلمية لها أصولها وقواعدها وخصائصها وأوقاتها التي ينبغي أن تتسم بالتنظيم والدقة والعمق

---

(١) كيف تكتب بحثًا أو رسالة – دراسة منهجية لكتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه . د/ أحمد شلبي ٦٨ / ط ١٤ / ١٩٨٢م .

(٢) دراسات في البحث ٤ .

(٣) دراسات في البحث ٤ ، ٥ .

والاستيعاب والاستنتاج وليست لمجرد قتل الوقت وشغل الفراغ ، فإذا أمسكت بكتاب كان أول ما تقرؤه مقدمته لتقف على موضوعه ومنهجه ومدى صلة المؤلف بالموضوع ودوافعه التي دفعته للكتابة فيه ، ثم بعد ذلك تتجه للخاتمة لتقف على نتائجه][(١)].

وعلى الباحث أن يقرأ كتبًا كثيرة وأن يطلع على مجموعة كبيرة من الكتب وألا يفوته مرجع ذو أهمية في موضوعه وعمل كهذا يحتاج إلى أعوام طويلة لا تتوفر للطالب غالبًا ، وللتغلب على هذه المشكلة يجب أن يعرف الطالب نظام القراءة السريعة لبعض الكتب فهو : [يشبه الكتب بالطعام تذوقه أحيانًا ثم تدعه إذا لم تعجبك عناصره ونكهته ، وتزدرده أحيانًا ازدرادًا سريعًا ، وأحيانا يكون لذيذًا جدًا ـ وقليلًا ما يكون ـ وحينئذ فإنك تمضغه برفق وأناة طلب للذة والمتعة][(٢)].

وعلى هذا فالقراءة ثلاث مراحل :[(٣)].

١ ـ القراءة السريعة : وتكون بقراءة الفهرس قراءة فاحصة ، ويختار الطالب من الفهرس ما يمس موضوعه من قريب أو بعيد ، وعليها يحدد الكتب التي تخص بحثه ، ويستبعد البعض الآخر .

٢ ـ القراءة العادية : وفي هذه المرحلة يقرأ الموضوعات التي حددها للقراءة في بعض الكتب ويختار منها الاقتباسات التي تتصل بموضوعه .

٣ ـ القراءة العميقة : هناك أبحاث ممتازة وثيقة الصلة بالموضوع وهذه ينبغي أن يقرأها الطالب بتؤدة وعمق ، وعليه أن يتمثلها ويستفيد بها في تكوين فكره وتطويره ، وأن ينتفع باتجاهاتها وربما كان عليه أن يعيد قراءتها وأن يعيش معها وأن

---

(١) في البحث اللغوي . د/ الموافي الرفاعي البيلي ٩/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(٢) كيف تكتب بحثًا أو رسالة ٦٩ .

(٣) السابق ٦٩ ، ٧٠ .

يقتبس ما ينير له السبيل .

- ويقول أستاذنا د/ عبد المنعم : [القراءة فن له أصوله وقواعده ، وخصائصه ، والباحث الناهج هو الذي يعرف كيف يقرأ ؟ ومتى يقرأ ؟ حتى يستطيع أن يستوعب ما يقرأ ويسجل ما يحتاجه من معلومات وفق الأفكار التي رسم لها خطته في البحث] [١] .

وعلى القارئ أن يلتزم في قراءته هيئة خاصة تكفل له استثمار ما يقرأ خير استثمار وتلك الهيئة الخاصة تقوم على عدة مبادئ منها: [٢] .

١- تحديد الغرض من القراءة .

٢- الحرص على أن يفهم القارئ كل ما يقرأ فهما تاما .

٣- إعطاء كل فكرة ما يناسبها من الوقت .

٤- تقييد كل ما يطرأ من أفكار أثناء القراءة حتى لا تفقد الكثير من الأفكار التي تولدها القراءة في غمرتها والاندماج فيها .

٥- تقييد الملاحظات العابرة في الهامش حتى تستطيع العودة إليها بسهولة .

٦- لا تقف في وجه فكرك أثناء القراءة فإذا استولت عليك فكرة أخرى دعه يسبح طليقًا ثم سجل ما وصل إليه وعُد لمواصلة القراءة .

٧- إذا تواردت الخواطر في أثناء قراءتك وأوضحت لك غامض فسجل ما ورد على فكرك .

٨- تذكر الموضوع الرئيسي للكتاب وركز ملاحظاتك على الأفكار الجزئية وتأمل خط سير الكتاب لعرضها ، ومدى ترابطها للوصول للغاية .

---

(١) معالم البحث اللغوي . د/ عبد المنعم عبد الله حسن ١/ ١٨ / مطبعة الشروق .

(٢) ينظر دراسات في البحث اللغوي صـ ٧ .

٩- احرص دائمًا على ارتباط الفكرة بالفكرة التي تليها حتى لا تمل .

١٠- تذكر دائما أن العمل الذي تقرأه عملا بشريًا معرضا للخطأ والنقص فلا تسلم بكل ما تقرأ .

١١- لا تقطع صلتك بالكتاب بعد الفراغ من قراءته ، بل حاول أن تدون رأيك .

١٢- لا تهجم على القراءة مباشرة ، ولكن تحصل على فكرة إجمالية عنه ثم بعد ذلك اقرأه قراءة متأنية .

٢- مستقلًا : تذكر أن المراجع الأساسية للدين الإسلامي وتشريعاته واحدة وهي القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، وأقوال الصحابة ، ولكن شخصية المجتهدين من العلماء أدت إلى الاختلاف في فهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، فظهرت المذاهب المختلفة نتيجة لاختلاف الفهم [(١)] ، فيجب أن يكون الباحث صاحب شخصية مستقلة وصاحب رأي ، فهو يقرأ ويفهم ويعلل ويبنى رأيه ، وينقد ، ولا يكون عنده استعداد لينجذب بسهولة مع الريح ومع الآراء هنا وهناك ، فهو يقرأ عملًا بشريًا خاضعًا للخطأ والصواب ، فعليه ألا يسلم تسليما مطلقًا بالآراء التي سُبق بها والتي قررها أسلافه .

* ويقول د. عبد الحميد إبراهيم : [وخير طريقة أراها لتكوين شخصية الباحث هي أن يقرأ أولًا المصادر الأصلية ، ثم يكون له وجهة نظر مستقلة دون تأثير من اعتبارات خارجية وبعد ذلك يمكنه قراءة المراجع المساعدة وذلك لمناقشة الأفكار التي استنتجها ، وقد يصل إلى تدعيمها أو تعديلها ، ولكنه على أي حال يصدر عن أرضيه خاصة به] [(٢)] .

---

(١) كيف تكتب بحثًا أو رسالة ٢٣ .

(٢) دليل الرسائل الجامعية من البداية إلى النهاية د. عبد الحميد إبراهيم ٥٧ / ط ١ / ١٩٩٢م/ دار المعارف .

٣- صحيحًا : والصحة هنا هي الصحة اللغوية ، حيث أن اللغة هي الأداة التي يستخدمها الباحث ، ومن المنطقي أن يجيد الباحث أداته حتى يستطيع أن يوصل ما يريده ، فالصحة اللغوية هي شرط أساسي وأولى وبدونه لا تتم عملية البحث .

والصحة اللغوية : تعني إتقان النحو والصرف والإملاء وأوزان البحور، وحروف القافية ، ومراجعة القواميس ، بالإضافة إلى التراكيب الأسلوبية التي يجب أن تخضع لروح اللغة ، فلا يحشر تراكيب عليها مسحة اللهجات المحلية ، أو مسحة لغة أجنبية في بحوث مكتوبة بالعربية الفصحى [١] .

٤- موهوبا : البحث موهبة تمنح لبعض الناس ولا تمنح لآخرين ، فالبحث خلق وإبداع ، وتلك قدرة خاصة تبرز أن تتألق لدى بعض الأفراد ، وتتضاءل أو تنعدم عند آخرين .

والعلاقة ليست مطردة بين التقدم في نتائج الامتحانات وبين عالم البحث والتأليف فطالما تراجع أوائل الليسانس عن الصفوف الأولى عند ما اتجهوا إلى البحث وعلى العكس من ذلك نجح في صفوف الباحثين جماعة ممن توفرت فيهم موهبة البحث وإن لم يكونوا في الصفوف الأولى إبان دراستهم بقسم الليسانس [٢] .

*** أهم العلامات التي تبرز موهبة البحث :** [٣] .

١- القدرة على اختيار موضوع للدراسة لم تتضح بعد معالمه .

٢- القدرة على ابتكار خطة مناسبة للبحث فهذه القدرة دليل على سيطرة الطالب على الموضوع .

---

(١) كيف تكتب بحثًا ١٨ .

(٢) كيف تكتب بحثًا ١٩ وما بعدها .

(٣) السابق .

٣- استقلال شخصية الباحث وعدم استعداده لينجذب بسهولة مع الآراء هنا وهناك .

٤- الاستفادة من المقارنات وابتكار فكرة منها لم يُسبق الباحث إليها .

٥- ألا يسلم الباحث تسليمًا مطلقًا بالآراء التي سُبق بها وقررها أسلافه.

٦- ألا يقنع بالكلمات المكتوبة أو المقولة بل يحاول أن يقرأ ما بين السطور.

٧- أن يشعر دائمًا بأنه سيد بحثه وخالقه بمعنى أن يحاول دائمًا إدخال بعض التحسينات والإضافات عليه .

٨- أن تظهر في الباحث اللذة في العمل والرغبة في الاستمرار فيه وإيثاره عن كل شيء .

٩- الصبر والدقة والفطنة في الدراسات التجريبية والتسلسل التاريخي وعدم التكرار في الدراسات التاريخية وفي كل الدراسات عدم التسرع للحصول على الدرجة العلمية .

١٠- التأنق في الأداء فيكون الباحث كالمصور أو المثَّال الذي يتحرك بريشته وأجهزته ليجعل الصورة أو التمثال في أروع مظاهره .

ـ موهبة البحث تشبه قدرات النحلة ، فالنحلة تقف على الزهور كما تقف الحشرات والطيور ، ولكن النحلة وحدها تجعل من الرحيق عسلًا شهيًا فهل تستطيع أيها الطالب أن تخرج شيئًا مما تقرأ ! إن كنت تستطيع فأنت جدير أن تدخل دنيا البحث والدراسة ، وإن كنت لا تستطيع فلست كالنحلة ولست باحثًا إنما أنت قارئ تستفيد بما فعل الآخرون وتفيد به ، وليس من الضروري أن تتجه إلى ما لا تجيده [١] .

---

(١) كيف تكتب بحثًا أو رسالة ٢٣ .

* **ويمكن تنمية موهبة البحث بما يلي :** [١].

١- المعرفة والمثابرة .

٢- كثرة الاطلاع على الأعمال الجيدة وعمق التفكير فيها وفي خطواتها الفكرية .

٣- الاستمرار على محاولات البحث والدراسة .

٤- التعرف على أخطاء المحاولة كما يبرزها الأساتذة والمشرفون والنقاد .

٥- تحاشي هذه الأخطاء في الأعمال الجديدة .

٥- مؤدبا : على الباحث أن يكون متصفا بعديد من الآداب ومتسلحًا بأخلاقيات أسماها العلماء آداب البحث وأخلاقياته ، ونلخص ما قاله الإمام الغزالي [ت ٥٠٥هـ] في آداب المتعلم في **النقاط التالية :** [٢].

١ـ تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف ، إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله .

٢ـ أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ، فالعلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك .

٣ـ ألَّا يتكبر على العلم ولا يتآمر على المعلم ، بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصيحته .

٤ـ ينبغي أن يتقن أولًا الطريق الحميدة الوحيدة المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغي إلى المذاهب والشبه .

---

(١) السابق ١٩ ، ٢٠ .

(٢) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي ١/ ٨٢ وما بعدها / ط٢/ ١٩٨٦م/ دار الغد العربي .

٥ـ ألَّا يدع فنا من العلوم المحمودة ولا نوعًا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرًا يطلع فيه على غايته .

٦ـ ألَّا يخوض في فن من فنون العلم دفعة ، بل يراعى الترتيب ويبتدئ بالأهم .

٧ـ أن لا يخوض في فن حتى يستوفى الفن الذي قبله ؛ فإن العلوم مرتبة ترتيبًا ضروريًا .

٨ـ أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم ، وأن ذلك يراد به شيئين أحدهما : شرف الثمرة ، والثاني : وثاقة الدليل وقوته .

٩ـ أن يكون قعيد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة .

١٠ـ أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره .

ويلخص الدكتور رجب البيومي أهم آداب الباحث فيما يلي : [١] .

١ـ الأمانة والصدق في كل ما يكتب وكل ما ينقل .

٢ـ ألا يُغمط حق من سلفه في البحث وأن يعترف بفضلهم .

٣ـ أن يتواضع في أقواله ومناقشاته .

٤ـ الدفاع عن الحقيقة ونشرها .

٥ـ التعاون بين أعضاء الهيئة الواحدة لأن التعاون روح البحث العلمي .

٦ـ الاعتراف بالخطأ إن وجد فذلك يقرب للحقيقة .

٧ـ تنمية ملكة النظام لأنه من أهم عوامل البحث العلمي .

٨ ـ التعمق في الوصول إلى أصل الحقائق .

---

(١) دراسات في البحث ٩ .

٩ـ التناصح بين الباحثين فيما بينهم .

١٠ـ قوة الملاحظة والقدرة على الاستنتاج .

* **ونعرض فيما يلي أبرز الصفات التي يجب أن يلتزم بها الباحثون عند المليجي**[(١)]:

أ ـ **البعد عن الهوى** : حيث إن التجرد من الهوى شرط أول لصحة الأحكام ونزاهة الاستدلال ، وأن الآراء المسبقة تمنع من التمييز بين صحيح الفكر وفاسده .

ب ـ **الصدق** : والصدق يعني الصحة والاستقامة في القول والفعل وتطابق الظاهر والباطن ، والصدق في البحث يقتضي أن يكون الباحث صادقا مع نفسه ، فلا يتصدى لبحث موضوع وهو يعلم أنه ليست لديه المؤهلات المعرفية والقدرات العقلية أو المتطلبات الأساسية اللازمة للبحث ، وصدقه مع نفسه يفرض عليه أن يسعى لإحراز هذه المتطلبات قبل الشروع في البحث ، والصدق مع الذات يقتضي أن يبذل الباحث جهدًا مستقلا في إنجاز مطالب بحثه ، وأن يجتهد حين يفتى في إبراز رأيه . فإن أفتى برأي الآخرين كان عليه أن يبرز اقتباسه منهم .

جـ ـ **الأمانة** : والأمانة أو الخيانة في البحوث في مواضع كثيرة منها :

ـ الأمانة في اختيار موضوعات البحث في ضوء معايير موضوعية.

ـ الأمانة في اختيار من يوجهون البحث أو يشرفون عليه وأن يكونوا متخصصين فيه .

ـ الأمانة في أن ينسب كل عمل في البحث إلى من أنجزه مهما كانت درجته ، وعلى الباحث أن يرى رفيقه معينا لا خصيما .

ـ الأمانة في الرجوع إلى الصواب حين يقوم عليه دليل .

---

(١) الأستاذ الجامعي الواقع والأمل . السيد عبد الستار المليجي ٩٠ وما بعدها / ط١/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

د ـ **البعد عن التحاسد** : والباحثون المسلمون مدعوون دائمًا إلى التناصر بدلا من التحاسد ، وفي هذا المقام قال الإمام الشافعي : ا لعلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل .

هـ ـ **مجانبة النفاق والرياء** : ومن آفات الباحثين النفاق والرياء ، وأخطر أنواع النفاق ما كان موجها إلى سلطة أيا كانت سياسية أو إدارية أو أكاديمية ، والنفاق فِسْقٌ لا يليق بحرٍّ يؤمن بالله ، وهو أمر بالمنكر ونهي عن المعروف .

و ـ **مجانبة التكبر والترفع** : وهما ماثلان في نظرة بعض الباحثين في مجالات العلوم التربوية إلى الممارسين في مجالات العمل ، حيث يرى الباحثون أن الممارسين غير مؤهلين للإسهام في البحث التربوي أو تطوير التعليم .

ز ـ **البعد عن تزكية النفس** : من آفات البحث في القديم والحديث تزكية النفس وادعاء القوة والغلبة ، وظن بعض الباحثين أنهم – دون غيرهم – يملكون القول الصواب ، وحري بهذا الاتجاه أن يثير الحقد والبغضاء بدلًا من التناصر والتشاور بين الباحثين ، وكلها آفات تعوق البحث ، وتقلل من فاعليته ، قال تعالى : ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم] .

حـ ـ **التواصل الجيد** : من أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في الباحثين قدرتهم على التواصل مع الآخرين ، سواء في ذلك الباحثين ومن يجري معهم أو عليهم البحث والممارسون للأعمال والمهمات التي تتصل بموضوع البحث ، وفي هذا المعنى يروى الإمام الغزالي ما قيل: كِلْ لكل إنسان بمعيار عقله ، وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار .

ـ ويضع دستورًا فكريًا عامًا للباحثين يوحد فهمهم ويجمع شملهم ويلخص مبادئه الأربعة قائلًا : [1].

---

(١) الأستاذ الجامعي ٩٦ .

١ـ الإيمان الكامل بأن وظيفة الإنسان هي عبادة الله ، وأن العلم والبحث جزء من هذه العبادة ولابد له من الانضباط على منهج الله شأنه في ذلك شأن كل العبادات .

٢ـ أن الإسلام يحض على العلم ويجعله فريضة على كل مسلم ، ويرفع قدر العلم والعلماء .

٣ـ أن الحقائق العلمية الثابتة لا يمكن بحال من الأحوال أن تتعارض مع القواعد الشرعية الثابتة .

٤ـ أن العمل بالصيغة الإسلامية للبحوث على اختلاف أنواعها أضحى ضرورة لنهضتنا العلمية وطريقا وحيدًا لها .

٦ـ **ناجحًا** : تحدث العلماء عن نجاح الباحث وتفوقه ، فذكروا سمات وصفات وعلامات لهذا النجاح ، منبسقة من الخطوات السابقة ، منسجمة مع الشروط الآنفة ، وإن تنوعت التعبيرات واختلفت الجمل والكلمات ، وأهم ما ذكروه من تلك الصفات ما يلي : [1].

أ ـ **الإخلاص** : حيث يقصد الباحث بعلمه ودراسته وجهده كله وجه الله وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته ، فالإخلاص روح العلم والبحث التي تبعث فيه النشاط الدائم والحيوية المتدفقة ، وعلم أو بحث لا إخلاص فيه كجسد لا روح فيه .

ب ـ الرغبة في العمل الذي يقوم به ، والتضحية والجدة والإبداع فيه .

ج ـ الصبر والصمود مصطحبات بالرغبة لأن طريق البحث مليء بالمشاق.

---

(١) تراجع في : في البحث اللغوي ا ، وما بعدها ومحاضرات في البحث اللغوي د. سعد أحمد سعد جحا ١/ ٧، ٨ .

د ـ الإطلاع الواسع والقراءة الواعية المتأنية والإلمام بكل ما يتعلق بموضوعه .

هـ ـ فطنة الباحث وذكاؤه ، وأن يتناول كل ما يقرأه بميزان دقيق من الحكمة ، والحنكة ، والفطنة .

و ـ الإنصاف والموضوعية ، فالإنصاف قرين العدل ، الذي يقتضي التجرد من الهوى ومن الرغبة بالتشهير وقلب الحقائق .

ز ـ التزام الأمانة العلمية في اقتباساته ، ونقولاته فينسبه إلى صاحبه .

ح ـ أن يعرض بحثه بطريقة سلسة مشوقة وببسط أفكاره مؤيدة بالأدلة المقنعة والبراهين القوية حتى يستطيع أن ينفذ من خلال عرضه إلى عقل الآخرين ووجدانهم فيسلموا له بما انتهى إليه .

ط ـ أن يختار المادة العلمية التي ترتبط بموضوعه ارتباطًا وثيقًا .

ي ـ إذا اقتبس فكرة يتمهل في قراءتها ويدقق في فهمها للوصول إلى مراجعها ومعرفة غرض صاحبها قبل أن يدونها .

ك ـ أن يختار الزمان والمكان المناسبين ، فإن ذلك يساعد على دقة الفهم وسرعة الاستيعاب .

ل ـ ألا يكون فظا سيئ الخلق بل يكون سمحًا كريم النفس .

م ـ ألا يهاب تجشم المشاق في أبحاثه وألا يستهين بآراء غيره ومعلوماتهم ، ولا يغمضهم حقهم .

ن ـ ألا يخلط جده بهزله ولا ييئس إذا لم يقبل قوله .

س ـ يعتني بحفظ أشعار العرب فإن فيه حكما ومواعظ وآدابا ، وبه يستعان على تفسير القرآن والحديث .

ع ـ يرحل في طلب الفوائد والغرائب كما رحل الأئمة .

ف ـ يكتب كل ما يراه ويسمعه فذاك أضبط له ، وفي الحديث : [**قيدوا العلم بالكتابة**] (١) .

ويلخصها أحد العلماء قائلًا : [مميزات الباحث ... أن يكون على جانب من العلم والمعرفة قادرًا على التأمل والتفكر والاستنباط ، كثير المطالعة مع التركيز والتهديف إلى جانب الموهبة والذكاء ، كما أن على الباحث وهو يقرأ ألا يُعد كل ما وصل إليه غيره هو من الأمور المسلم بها وأنها حقائق لا يعتريها الشك ، وأن يكون موضوعيًّا في بحثه يعتمد على الدقة والنظام والمنطق ، وأن يحترم آراء الآخرين بعيدًا عن الغرور العلمي] (٢) .

– فعملية [البحث هي بالدرجة الأولى تدريب على الصبر والمران ، وذلك هو الدرس الأول الذي ينبغي على الباحث أن يعيه قبل كل شيء] (٣) .

---

(١) هذه الرواية في : الفردوس بالمأثور الخطاب للديلمي ٣/ ٢٠٤ برقم : ٤٥٧٧ / تح . السعيد بن بسيوني زغلول / ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م / دار الكتب العلمية ومجمع الزوائد لأبي بكر الهيثمي ١/ ١٥٢ / ١٤٠٧هـ/ دار الريان للتراث / القاهرة وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٢٨/ ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م / مكتبة التراث الإسلامي .
وسمع من عمر – رضي الله عنه – [قيدوا العلم بالكتاب] وعن ابن عمر – رضي الله عنهما : [قيدوا هذا العلم بالكتاب] سنن الدارمي ١/ ١٣٨ / تح فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العليمي / ط ١/ ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م دار الريان للتراث ، وينظر المستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ١٨٧ / تح . مصطفى عطا / ط١/ ١٤١١هـ – ١٩٩٠م / دار الكتب العلمية . وفي المعجم الكبير للطبراني منسوب إلى أنس بن مالك – رضي الله عنه – ١/ ٢٤٦ / تح . هندي بن عبد المجيد السلفي/ ط٢/ ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م / الزهراء / الموصل ، وضعف رواية [الكتاب] ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ١/ ٨٧ / تح . خليل الميث / ط١ / ١٤٠٣هـ/ دار الكتب العلمية .

(٢) المرشد الوثيق إلى مراجع البحث وأصول التحقيق . جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين ، وعدنان بن سالم الرومي ١٠٠ / ط ٣ / ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م / دار الدعوة / الكويت .

(٣) دليل الرسائل الجامعية / ١٢ .